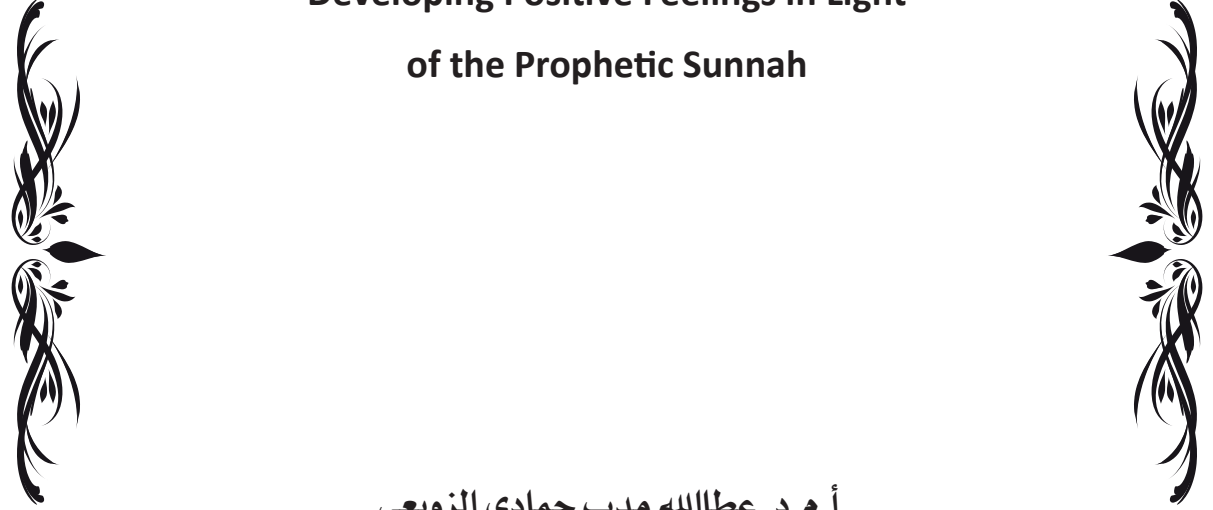


تنمية الشعور الإيجابي في ضوء
السنة النبوية

Developing Positive Feelings in Light
of the Prophetic Sunnah



أ.م.د. عطاالله مدب حمادي الزوبعي

Asst. Prof. Dr.

Atallah Madb Hammadi Al-Zubaie

tallhalhmysan@gmail.com



ملخص البحث

لأجل تحقيق الغايات الوجودية للإنسان عمدت السنة النبوية إلى تنمية الشعور الإيجابي لدى الفرد والمجتمع، فبثت التفاؤل وأحيت الأمل وعززت الثقة بالنفس، وفي مقابل ذلك عملت السنة النبوية على تجاوز المشاعر السلبية في النفس الإنسانية كالهم والحزن وتوجسات الخوف والقلق والتردد، تلك المشاعر التي قد تؤدي إلى الإحباط والفشل، وهذا البحث يرصد دور السنة النبوية في تنمية الشعور الإيجابي، وتعزيز الثقة بالنفس لدى الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية - الشعور الإيجابي - تنمية الشعور الإيجابي - النفس البشرية.

Abstract

In order to achieve human existential goals, the Prophetic Sunnah sought to develop positive feelings within individuals and society by installing optimism, reviving hope, and strengthening self-confidence. Conversely, the Prophetic Sunnah worked to overcome negative feelings in the human psyche, such as worry, grief, sadness, apprehensions of fear, anxiety, and hesitation—feelings that can lead to frustration and failure. The current study examines the role of the Prophetic Sunnah in developing positive feelings and enhancing self-confidence within individuals and society.

Keywords: Prophetic Sunnah - Positive Feelings - Developing Positive Feelings - Human Soul.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد.

فقد منحت الشريعة الإسلامية الإنسان منزلة كريمة وكرامة عظيمة، باعتباره كلمة الله التي أخرجها إلى الوجود، فتمخضت بإذنه تعالى عن ذات إنسانية نقية، وفطرة بشرية سوية، حملت في جوهرها مبادئ الإيمان العليا وقيم الأخلاق الفضلى، فكانت تلك الذات هي النفس البشرية، التي ما خلقها الله إلا لأجل تحقيق مبادئ الإيمان وقيم الإحسان.

وقد عملت السنة النبوية على تأهيل الإنسان نفسياً، وإعاناته معنوياً، وإرشاده إلى تحقيق رشد، وإنجاز

الهدف من وجوده، في عبادة ربه وتقويم سلوكه، وتمكينه من المحافظة على طهارته ونقاء سيرته من ملوثات الشرك وسوء الخلق.

ولأجل أن تتحقق الغايات والمعاني الوجودية للإنسان عمدت السنة النبوية إلى ملازمة مكان القوة في النفس الإنسانية، وتثوير ما موجود منها بالقوة إلى الوجود الفعلي، فبثت التفاؤل وأحييت الأمل وعززت الثقة بالنفس، وفي مقابل ذلك عملت السنة النبوية على تجاوز المشاعر السلبية في النفس الإنسانية كالهمل والغم والحزن وتوجسات الخوف والقلق والتردد، تلك المشاعر السلبية التي إذا ما تسللت إلى النفس البشرية فإنها تسهم في الإحباط النفسي الذي قد يؤدي إلى الفشل في تحقيق الغايات الأصلية من وجود الإنسان.

وفي هذا البحث سأقف عند المنهج الذي اتبعته السنة النبوية في تنمية الشعور الإيجابي، ورفع القدرات المعنوية، وتعزيز الثقة بالنفس، وإبعاد شبح الشعور السلبي الذي قد يطرأ على النفوس، وذلك من خلال بث روح التفاؤل والأمل، وإبعاد اليأس والتشاؤم عن النفوس.

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال أهداف الدراسة في النقاط التالية:

أولاً: تهدف الدراسة إلى إبراز دور السنة النبوية في تنمية الشعور الإيجابي، وتعزيز الثقة بالنفس، ورفع المعنويات لدى الفرد والمجتمع على حد سواء.

ثانياً: بيان دور السنة النبوية في حل الأزمات النفسية التي يعاني منها بعض الأشخاص لأسباب مختلفة، وذلك من خلال احتضان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لهؤلاء الأشخاص الذين يعانون من مشكلات خاصة، وإعانتهم على حلها، وتأهيلهم معنوياً كأفراد صالحين، وتهيتهم لأداء مسؤولياتهم في الحياة.

ثالثاً: الكشف عن الجانب الإنساني في السنة النبوية، وبيان اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرعية، وخاصة الشرائع الفقيرة والضعيفة في المجتمع، ليكون هذا الجانب الإنساني حافزاً لأصحاب المسؤوليات والمناصب على خدمة أبناء المجتمع عموماً وأهل الاحتياجات الخاصة خصوصاً.

المنهج العلمي المتبع في البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهجين التحليلي والاستنباطي، وذلك من خلال تتبع نصوص السنة النبوية وتحليل أحداثها واستنباط الفوائد التربوية منها، وإسقاط تلك الفوائد على واقعنا الحالي.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في ارتفاع الضغوط النفسية على الفرد والمجتمع في هذه الأزمان، وذلك لكثرة المؤثرات الخارجية في محيط الناس، والمتتمثلة بتعدد مفردات الحياة مع صعوبة تأمينها، كغلاء المعيشة، وعدم وجود السكن للأجيال، ونقص الخدمات الصحية مع كثرة الأمراض، وغير ذلك من الأمور الرئيسة في الحياة، إضافة إلى ما أحدثته العولمة من مؤثرات نفسية واجتماعية، حيث يلتقي الناس في بيئة افتراضية عابرة لحدود

الزمان والمكان، وينظر بعضهم إلى بعض، ويقارن بعضهم حياته مع بعض، وهذا بدوره يؤدي إلى آثار سلبية لدى شرائح عديدة في المجتمعات.

وفي هذا البحث سيتم النظر في دور السنة النبوية في رعاية الإنسان نفسياً، وتنمية الشعور الإيجابي لدى الفرد والمجتمع، وبث روح التفاؤل والأمل في نفوس الناس، وبيان دور السنة النبوية في حل المشكلات النفسية التي يعاني منها بعض الأفراد، ومن المؤمل أن تجيب الدراسة عن الأسئلة التالية: هل هناك دور للسنة النبوية في رعاية الفرد والمجتمع نفسياً؟، وما هي الأدوات التي استعملتها السنة النبوية في رفع المعنويات وتنمية الشعور الإيجابي؟، وكيف عاجلت السنة النبوية الأزمات النفسية الخاصة لدى بعض أفراد المجتمع؟. الدراسات السابقة:

بعد البحث في محركات البحث الإلكترونية والسؤال عن هذا العنوان لم أجد من كتب في هذا الموضوع، ومع وجود عدد من البحوث النفسية والتربوية إلا أنها لم تعالج الموضوع من وجهة نظر السنة النبوية، وقد وجدت كتيباً صغيراً بحدود خمسين صفحة، وعنوانه قريب من عنوان هذا البحث، ولكن مضمون الكتاب وطريقة المعالجة مختلفة عن هذا البحث، ففي هذا البحث عاجلت الموضوع وفق المنهجين البحثيين المنهج التحليلي والاستنباطي، كما إن الكتاب يتحدث عن التفكير وليس عن النفس، والكتاب بعنوان: (أسس التفكير الإيجابي في ضوء السنة النبوية) للدكتور سعيد بن صالح الرقيب.

خطة البحث:

اقتضت ضرورة العمل إلى تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وكما يلي: مقدمة:

المبحث الأول: بث روح التفاؤل والأمل في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: بث روح التفاؤل على الصعيد الجماعي.

المطلب الثاني: بث روح التفاؤل على الصعيد الفردي.

المبحث الثاني: معالجة آثار التشاؤم والإحباط في ضوء السنة النبوية.

نتائج البحث:

مصادر البحث:

المبحث الأول: بث روح التفاؤل في ضوء السنة النبوية.

ما من نفس بشرية برأها الله تعالى إلا وجعل فيها من عوامل القوة الذاتية ما يؤهلها لمواجهة مصاعب الحياة، والصمود أمام مغرياتهما، فكيف بالنفس المؤمنة؟، فهي أولى أن تشعر بالثقة والثبات من غيرها، ولكن قد يغفل الإنسان عن عوامل قوته، وأسباب قدرته، ومكامن طاقته، ولا يحسن توجيهها واستغلالها، فجاءت السنة النبوية لتلج إلى النفس الإنسانية، وتكشف عن خبايا قوتها وخفايا طاقتها، فبثت التفاؤل وأحيت الأمل،

وحافظت على النفوس من الضعف والخور.

والتفاؤل هو حالة معنوية إيجابية، فيها أمل بحصول الخير، ورجاء بدفع الشر وكشف الضر، فتقدم النفس المتفائلة على العمل لإنجاز المهمات وتحقيق الطموحات وتجاوز العقبات، فتتهيا على إثر ذلك فرص النجاح. ويحدث التفاؤل بالاستبشار بالكلمة الجميلة الطيبة الصالحة، والموقف الحسن، ولا شك فإن الكلمة الحسنة الطيبة لها أثر كبير في إصلاح النفوس، وبث روح التفاؤل والأمل فيها، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن أنس، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا عُدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»^(١).

فالكلمة الطيبة هي الأداة الفعالة في تنمية الشعور الإيجابي في النفس البشرية، وهي أداة موضوعية خارجية، تتفاعل معها النفس إيجابيا، فترتفع على إثرها الحالة المعنوية للإنسان، فلا يظن أحد أن عوامل التفاؤل هي عوامل نفسية محضة، ولكنها مزيج ينتج عن التفاعل بين الذات والموضوع.

وقد وظفت السنة النبوية الكلمة الطيبة كأداة لإصلاح النفوس وبث روح التفاؤل والأمل فيها، على الصعيدين الفردي والجماعي، فحافظت السنة النبوية على التوازن النفسي لدى الفرد والمجتمع، وسأذكر جانبا من ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: بث روح التفاؤل على الصعيد الجماعي.

من تطبيقات السنة النبوية في توظيف الكلمة الطيبة والموقف الحسن المناسب لبث التفاؤل بالخير على الصعيد الجماعي، ما أخرجه البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة، ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، في قصة صلح الحديبية وهذا جزء من الحديث: [...] فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا فَلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبَدَنَ، فَاْبْعُثُوهَا لَهُ» فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبَدَنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا مِكْرَزُ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»، [...]»^(٢).

(١) صحيح البخاري، باب الفأل، كتاب الطب، رقم (٥٧٥٦)، وباب لا عدوى، كتاب الطب رقم (٥٧٧٦)، وصحيح مسلم، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، كتاب السلام، رقم (٢٢٢٤)، واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح البخاري، باب الشؤم في الجهاد والمصالحات مع أهل الحرب وكتابة الشؤم، كتاب الشروط، رقم (٢٧٣١).

نلاحظ في هذا الحديث طريقة تعامل السنة النبوية مع ثلاث حالات بشرية مختلفة، حيث وظف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الموقف لصالح المسلمين في كل حالة من هذه الحالات الثلاث، ففي الحالة الأولى أمر المسلمين أن يستعرضوا الهدي أمام الرجل المفاوض وهم يلبون للعمرة، لأن الرجل كان يعظم شعائر الله، وبالفعل لما رأى الرجل البدن قد قلدت، وسمع التلبية، رجع إلى قومه وقال: رَأَيْتُ الْبَدْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ النَّبِيِّ، فكانت أول كلمة إنصاف مدوية لصالح رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ألقيت على مسامع المشركين، ولا شك كان موقف الرجل مقدمة حسنة للصالح وحقن دماء المسلمين في ذلك الموقف العصيب الذي لم يكن القتال فيه لصالح المسلمين.

والحالة الثانية كانت مع مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر، وقد حذر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه منه بقوله: «هَذَا مَكْرُزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، وطبعا الفاجر لا يظن به إلا أن يأتي بكلام سيء، من سب أو طعن أو تهديد، وموقف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من هذا الرجل الفاجر هو موقف استباق للحوادث من جهة الاحتياط، حتى لا يؤثر كلام هذا الرجل الفاجر سلبا على بعض من يسمعه من المسلمين. فهنا السنة النبوية ترصد الموقف أو الحالة التي لها تأثيرا سلبيا قبل حصولها، ل تمنع أثرها السلبي على نفوس المسلمين، وتحافظ على معنوياتهم، وهذا الموقف من السنة النبوية لا شك يصب في حفظ الأمن النفسي للجماعة المسلمين.

وأما الحالة الثالثة فهي في طريقة تعامل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع سهيل بن عمرو، حيث لما جاء سهيل قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لَقَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»، وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هذا فيه بث للتفاؤل في نفوس المسلمين ورفع لمعنوياتهم، وتنمية لشعورهم الإيجابي، وهذا بناء على معرفة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرجل، وتوقع ما سيصدر عنه من موقف وكلام، وليس لمجرد أن اسمه سهيل والله أعلم.

فلنلاحظ في هذا الحديث قضية في غاية الأهمية وهي دفاع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحالة المعنوية للمسلمين جميعا، وكأنهم نفس واحدة، فتصدى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للحالات الجزئية التي واجهت المسلمين حالة بعد حالة، ولم يعط الفرصة لمحاولات المشركين التغلغل إلى نفوس المسلمين لبث الخوف والقلق فيهم من خلال الاستعراض والتخويف الذي مارسه المشركون.

ومن التفاؤل الذي بثته السنة النبوية في نفوس الناس هو حسن الظن بالله تعالى، والثقة به والتوكل عليه والرضا بقضائه وقدره، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا، وَإِنْ

تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً^(١).

نلاحظ في هذا الحديث القدسي أن حسن الظن مرتبط بذكر الله تعالى، فترديد اسماء الله وصفاته على اللسان تمنح العبد الثقة بالنفس، وكلما أكثر العبد من ذكر الله ازداد قربه من الله وأمله بالله وتفاؤله بحصول الخير والبركة، قال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)] سورة البقرة.

فكلمات الذكر المباركة تعزز القوة المعنوية في النفس وتمنحها الشعور بالتفوق على أسباب الضعف، لذلك حث القرآن الكريم والسنة النبوية على كثرة الذكر، كما في الآية السابقة، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

فمن أراد أن يزرع الثقة في نفسه، وينتصر على عوامل الضعف المحيطة به، فليكثر من ذكر ربه، فإنها الكلمات الصالحات المباركات الباقيات عند الله تعالى، وقد أخرج الترمذي في سننه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَّائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٣).

المطلب الثاني: بث روح التفاؤل على الصعيد الفردي.

مثلاً اعتنت السنة النبوية بمراعاة الحالة النفسية لجماعة المسلمين سواء كان ذلك في حالات الحرب كما في حديث المسور بن مخرمة السابق عند البخاري، أو في حالات السلم لعموم المجتمع، كذلك اعتنت السنة النبوية بالحالة النفسية والقوة المعنوية للفرد، فالفرد هو وحدة البناء في المجتمع، فقد يكون هناك أفراد يحتاجون إلى اهتمام استثنائي بسبب ظروفهم الخاصة بهم، حيث لا تكفي العناية العامة بهم، فكانت السنة النبوية ترصد الحالات الفردية الخاصة عند بعض الأفراد لأجل رعايتهم، ورفع معنوياتهم، وبث التفاؤل في نفوسهم، ودفع الأزمات المحتملة التي قد يتعرضون لها، ويمكن إجمال عمل السنة النبوية في بث التفاؤل في نفوس الأفراد من المسلمين في النقاط التالية:

(١) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: [وَيُحِذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ] (آل عمران: ٢٨)، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، رقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم، بَابُ الْحُثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٦٧٥).

(٢) صحيح البخاري، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، رقم (٦٤٠٦)، وَبَابُ إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ، فَصَلِّ، أَوْ قَرَأْ، أَوْ سَبَّحْ، أَوْ كَبَّرْ، أَوْ حَمْدٌ، أَوْ هَلَلٌ، فَهُوَ عَلَى نَبِيِّهِ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالتَّنْذِيرِ، رقم (٦٦٨٢)، وصحيح مسلم، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٦٩٤).

(٣) سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ، رقم (٣٣٧٥)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي سَنَنِهِ، بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ، كِتَابُ الْأَدَبِ، رقم (٣٧٩٣)، الْإِحْسَانُ فِي تَقْرِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ، ابْنِ بَلْبَانَ، بَابُ ذِكْرِ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ ذِكْرَ الْعَبْدِ جَلَّ وَعَلَا فِي نَفْسِهِ يَذْكُرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بِالْغُفْرَةِ فِي مَلَكُوتِهِ رقم (٨١٤)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، رقم (١٨٢٢)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُحَرِّجْهُ.

أولاً: تغيير الأسماء ذات المدلول غير الحسن إلى أخرى فيها معاني الحسن والجمال.

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن المسيب، عن أبيه: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ» قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّيْتَنِي بِهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: «فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ»^(١)، ففي هذا الحديث غير النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اسم الصحابي حزن إلى سهل، خشية أن يصيب الحزن نفس هذا الصحابي، كأن يحصل له حالة من التشاؤم من معنى اسمه، ومثل هذا التشاؤم يحصل عند بعض الناس.

قال ابن الجوزي: الحزن: ما غلظ من الأرض، وَيُقَالُ: فِي خَلْقٍ فَلَانٍ حُزُونَةٌ: أَي غُلْظَةٌ وَقِسَاوَةٌ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كره الاسم لهذا المعنى فأبدله بضده تفاؤلاً، فأبى الرجل^(٢).

ولاحظ قول ابن الجوزي: فأبدله بضده تفاؤلاً، فهدف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بث التفاؤل في نفس الصحابي، فتفاؤلاً تعود إلى الصحابي، لكنه رفض ذلك.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةٌ»^(٣)، وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه بسنده عن زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: «كَانَ اسْمِي بَرَّةً، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ، قَالَتْ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَاسْمُهَا بَرَّةٌ فَسَمَّاهَا زَيْنَبَ»^(٤).

قال النووي: مَعْنَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَغْيِيرُ الْإِسْمِ الْقَبِيحِ أَوْ الْمَكْرُوهِ إِلَى حَسَنٍ وَقَدْ ثَبَتَ أَحَادِيثُ بِتَغْيِيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَاءَ جَمَاعَةٍ كَثِيرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَدْ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِلَّةَ فِي النَّوعَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا وَهِيَ التَّرَكِيَّةُ أَوْ خَوْفُ التَّطِيرِ^(٥).

إن تغيير مثل هذه الأسماء يعني (حزن وعاصية وبرة) وغيرها من الأسماء هو لأجل ما تحمله من معاني الحزن أو الشدة أو قبح اللفظ أو الإشكال الشرعي، وقد يكون لهذه الأسماء تأثيراً سلبياً على نفوس أصحابها، لما يتصور عند بعضهم من إلحاق معاني هذه الأسماء في حياتهم، فتحصل لهم حالة من التطير من معاني اسمائهم، وإن أقل ما تسببه الأسماء المكروهة وألفاظها الغريبة هو الحرج الذي يصيب أصحابها في داخل بيئتهم الاجتماعية، وهذا أمر معروف بين الناس، بل ويصرح كثير من الناس بحالة الحرج التي يعانون منها

(١) صحيح البخاري، باب اسم الحزن، كتاب الأدب، رقم (٦١٩٠).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج ٤، ص ٧٤.

(٣) صحيح مسلم، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، كتاب الآداب رقم (٢١٣٩).

(٤) المصدر السابق، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، كتاب الآداب، رقم (٢١٤٢).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٤، ص ١٢٠.

بسبب غرابة أسمائهم.

بينما الأسماء الجميلة وألفاظها الحسنة تعزز الشعور الإيجابي لدى الإنسان، وتبعث فيه روح التفاؤل بما تحمله من معاني الخير والنجاح والجمال، لذلك وجب على الآباء اختيار أسماء حسنة لأولادهم، امتثالاً للاستحباب الشرعي ومراعاة للجانب النفسي لهم.

ثانياً: تغيير أسماء بعض المدن.

ومن ذلك تغيير اسم يثرب، وهو الاسم القديم للمدينة المنورة، وقد سماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طابة، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن أبي حميد قال: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: [هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أَحَدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ] ^(١).

وطابة اسم حسن من الطيب، قال الخطابي: وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة طابة ومعناه طهارة التربة وهي سبخة فدل ذلك على جواز التيمم بالسباخ، وقيل معناه الطهارة من النفاق ^(٢)، وقال ابن بطال: طابة مشتقة من الطيب ^(٣).

ولا شك أن الاسم الحسن للمدينة يترك أثراً حسناً على جميع أبناء المدينة فرداً فرداً، أما الاسم الذي فيه كراهة فقد يترك شعوراً سلبياً على بعض الأفراد، فلذلك عمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى تغيير اسم يثرب إلى طابة، لمنع حالات الشؤم والتطير عند بعض الناس.

ثالثاً: النهي عن بعض الألفاظ المكروهة.

فقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن كلمات معينة وأبدلها بأخرى مرادفة في المعنى، والسبب في النهي عن الكلمة الأولى هو اللفظ، إما لقبحه أو شدته أو غير ذلك، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثْتُ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِستْ نَفْسِي» ^(٤).

وخبت بمعنى لقيست، قال الفراهيدي: لقس: اللقس: الشره النفس، الحريص على كل شيء، ولقيست نفسه إلى الشيء: نازعته حرصاً ^(٥).

(١) البخاري، الصحيح كتاب المغازي، باب برقم (٤٤٢٢)، وكتاب المبعث النبوي أبواب غزوة تبوك برقم (٤٤٢٢) ومسلم، الصحيح كتاب الفضائل باب أَحَدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ برقم (١٣٩٢).

(٢) معالم السنن، الخطابي، ج ١، ص ١٤.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج ٤، ص ٥٤٤.

(٤) صحيح البخاري، باب لَا يَقُلْ: خَبِثْتُ نَفْسِي، كتاب الأدب، رقم (٦١٧٩)، وصحيح مسلم، باب كَرَاهَةِ قَوْلِ الْإِنْسَانِ خَبِثْتُ نَفْسِي، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم (٢٢٥٠).

(٥) العين، الفراهيدي، ج ٥، ص ٧٨.

وقال الأزهري: وروى ابن الفرّج لأبي عمرو: يُقال: مَقَسْتُ نَفْسَهُ تَمَقَّسُ فَهِيَ مَاقِسةٌ إِذَا أَنْفَتَ وَقَالَ مَرَّةً خَبَثَتْ وَهِيَ بِمَعْنَى لَقِسَتْ^(١).

وقال القاسم بن سلام في غريب الحديث: المَعْنَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ كَرِهَ قَبْحَ اللَّفْظِ فِي خَبَثَ^(٢). فعلى الرغم من الترادف في المعنى لبعض الألفاظ إلا أن السنة النبوية أعطت الأفضلية إلى اللفظ الأحسن، ونهت عن اللفظ القبيح، لما قد يتركه اللفظ القبيح من أثر سلبي في النفوس.

المبحث الثاني: معالجة آثار التشاؤم والإحباط في ضوء السنة النبوية. يحصل التشاؤم لدى كثير من الناس لأسباب مختلفة خاصة أو عامة، وخاصة في هذا الزمان، الذي كثرت فيه التقلبات، وتسارعت التحولات في شتى مناحي الحياة، فيستبعد المتشائم حصول الخير له، أو بلوغ النجاح في حياته، فتغلق أمامه نوافذ الأمل، وتسد في وجهه منافذ النجاح، فيشعر المتشائم بالإحباط النفسي، وعدم القدرة على تناول أسباب النجاح.

وقد تنبّهت السنة النبوية لمثل هذه الحالات النفسية، فعالجتها بالرعاية الأبوية والأساليب التربوية، ومن نماذج رعاية السنة النبوية لتنمية الشعور الإيجابي ورفع المعنويات في مواجهة الحياة، وإزالة حالة الشؤم والإحباط عن النفوس، ما جاء في قصة جليبيب رضي الله عنه، فقد بدأت القصة بما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده بسند حسن عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: جُلَيْبِيبٌ، فِي وَجْهِهِ دَمَامَةٌ فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّزْوِيجَ فَقَالَ: إِذَا تَجِدُنِي كَاسِداً، فَقَالَ: «غَيْرَ أَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ»^(٣).

ففي هذا الحديث نجد اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالحالات الخاصة التي تحتاج إلى رعاية أبوية ولفته إنسانية، فيعرض النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على جليبيب الزواج، وهذا ما كان جليبيب يتمناه، مع استبعاد حصوله في حساباته الخاصة، فحدد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المشكلة عند جليبيب، وعين نقطة المعاناة لديه، بل قل المعضلة المخيمة على نفس جليبيب رضي الله عنه، وذلك لأجل معالجتها، وهذا الموقف فيه درس للمسؤولين الذين تبوأوا المناصب المهمة في الحياة أن يكونوا على قدر المسؤولية وأن يؤدوا الأمانة التي حملوها في رعاية شؤون الناس الخاصة والعامة، ولا يهملوهم، فإنهم سيحاسبون على إهمالهم للناس إن عاجلاً أم آجلاً.

ثم ينفذ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعده جليبيب، لا كما يفعل بعض المسؤولين اليوم بأن يعدوا الناس بالخدمات والتي هي أصلاً من حقوقهم، ثم لا يوفون بما يعدون به الناس، فيخطب النبي صلى الله

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٢) غريب الحديث، القاسم بن سلام، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي، رقم (٣٣٤٣).

تعالى عليه وآله وسلم لجليبيب ويزوجه.

فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه بسنده عن أنس قال: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرُ أُمَّهُا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَعَمْ إِذَا»، فَاَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَا هَا اللَّهُ إِذَا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْمَعُ قَالَ: فَاَنْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، فَكَأَنَّهَا جَلَسَتْ عَنْ أَبِيهَا، وَقَالَتْ: صَدَقْتَ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ رَضِيتُهُ فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ» قَالَ: فَتَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَكَرِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَوَجَدُوا حَوْلَهُ نَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنِيسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَا تَنْفَقُ بِنْتِ الْمَدِينَةِ^(١).

نلاحظ في هذا الحديث والحديث الذي قبله أن جلييبا كان مدفوعا من الناس، وغير مرغوب فيه من جهة تزويجه بسبب صورته وفقره، وهذا هو محور مشكلة جلييب التي كان يعاني منها في نفسه، وقد شخصها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعمل على علاجها.

فقد بادر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمحو الآثار النفسية السلبية لجلييب، وحاول رفع معنوياته وزرع الثقة في نفسه، من خلال المحاوراة التي جرت بينهما، حيث عرض النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليه الزواج، وهذا أول دخول إلى المشكلة لأجل إيجاد الحلول لها.

ثم لما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جواب جلييب وفيه الكثير من الإحباط واليأس، وذلك بقوله: (إِذَا تَجِدُنِي كَاسِدًا)، بادر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى رفع معنويات جلييب وزرع الثقة في نفسه وذلك بقوله: «غَيْرَ أَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ»، هذه الكلمة العظيمة التي ربما لم يسمعها جلييب من أحد من قبل، قد كان لها وقع خاص في نفسه، بحيث أثمرت فيما بعد عن موقف بطولي عظيم وكشفت عن معاني التضحية والوفاء لله ولرسوله.

أثر كلمة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في نفس جلييب:

لقد تركت كلمة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أثرا إيجابيا كبيرا في نفس جلييب، فقد هزت كيانه، ومنحته قوة معنوية وتفأولا في نفسه، أثمر فيما بعد عن بطولة قل نظيرها، وعز مثلها، فقد صمد جلييب في ساحة المعركة، فقتل سبعة من المشركين، وقتل شهيدا، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ، فَأَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ

تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلِ، فَوَجِدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَحَفَرَ لَهُ وَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا^(١).

هكذا تركت التربية النبوية أثرا إيجابيا في نفس جليبيب رضي الله عنه، وأهمته القوة في الإرادة، والقدرة على الثبات، فصنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من جليبيب بطلا مقداما فاقت بطولته كثيرا من الناس الأسوياء، وجليبيب كثير من النظراء الذين رعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتم تأهيلهم لمواجهة أعباء الحياة، والوفاء بالعهد والميثاق، وأداء أمانة الدين والدنيا، فكانت السنة النبوية أعظم معين لمعالجة المعاناة النفسية للمسلمين، وصدق الله تعالى حين قال: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَتَبَتْكُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)] (التوبة: ١٢٨).

ثم إن السنة النبوية أرشدت إلى دفع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التشاؤم والإحباط النفسي عند عامة الناس، فهنت السنة النبوية عن جملة من الأسباب المؤدية إلى التشاؤم والإحباط منها:

أولاً: النهي عن الطيرة.

الطيرة هي توقع حدوث مكروه في المستقبل من دون وجود أي سبب شرعي أو علمي أو عقلي لحصوله، أو من دون النظر في السنن الإلهية في الكون والإنسان، لذلك نهت السنة النبوية عن الطيرة.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»^(٢).

قال الخطابي: وذلك أن العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير، ومنهم من كان يتطير بسنوحها فيصدهم ذلك عن المسير ويردهم عن بلوغ ما يممونه من مقاصدهم فأبطل صلى الله عليه وسلم أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب ضرر أو نفع^(٣).

فالطيرة بهذا المعنى هي بخلاف التوكل على الله، والطيرة تؤدي دورا سلبيا في حياة الفرد والمجتمع، لأنها تعمل على الإحجام عن الأعمال المفيدة والنافعة من دون الاعتماد على سبب حقيقي، لذلك نهت السنة النبوية عن الطيرة، وحافظت السنة النبوية على الأمن النفسي للفرد والمجتمع، وعملت على تبديد حالات الخوف والتردد الحاصلة من التطير، والتي لا تستند إلى أسباب موضوعية، بل إن الطيرة فيها معنى ادعاء الغيب الذي

(١) صحيح مسلم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ جُلَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم (٢٤٧٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ الْفَالِ، رقم (٥٧٥٦)، وَبَابُ لَا عَدْوَى، رقم (٥٧٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، بَابُ الطَّيْرِ وَالْفَالِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ، برقم (٢٢٢٤).

(٣) معالم السنن، ج ٤، ص ٢٣٥.

حرمته الشريعة الإسلامية وجرمت مدعيه.

ثانيا: النهي عن الاستقسام بالأزلام.

الأزلام هي آلة يستقسمون بها، فإن خرج افعل مضى، وإن خرج لا تفعل أحجم، قال مقاتل: وأمّا الأزلام فهي القداح التي كانوا يقتسمون الأمور بها^(١).

والاستقسام بالأزلام فيه جانب من جوانب التشاؤم والطيرة، لذلك نهى الله تعالى عن الأزلام، قال تعالى: [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ] (البائدة: ٣)، قال القرطبي في الأزلام: وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّكْهُنِ وَالتَّعَرُّضِ لِدَعْوَى عِلْمِ الْغَيْبِ^(٢).

ثالثا: النهي عن ذكر أو تأويل الرؤيا المكروهة.

تحتل الرؤيا مكانة كبيرة ومؤثرة في نفوس معظم البشر عبر التاريخ، والنوع المكروه من الرؤيا يحدث قلقا كبيرا في نفس الإنسان، لما في كثير من تلك الرؤى من النبوءات المجربة في حياة الناس، لذلك فإن الرؤيا المكروهة قضت مضاجع كثير من الناس وهزت كياناتهم، ولم تفرق بين الملوك وعامة الناس، ولا بين غني وفقير، فالجميع في وجل منها إذا ما حصلت لهم.

وإذا كان أثر الرؤيا المكروهة له وقع سلبي في النفوس عبر التاريخ، فهي في هذا الزمان أكثر تأثيرا مما مضى من الأزمان الغابرة، وذلك لكثرة الضغوطات النفسية التي تحدثها المؤثرات الخارجية على الإنسان في عصرنا الحالي، فإذا كانت بيئة الإنسان في الأزمان السابقة محدودة في زمان ومكان معينين، فإن العولمة اليوم جعلت أهل الأرض جميعا كأنهم في بيئة واحدة، وذلك بفضل التقدم التكنولوجي الذي أصبح في متناول الناس جميعا، فقتربت التقنيات الحديثة البعيد وبعدت القريب، وغيبت كثيرا من الناس عن واقعهم، وأتاحت لهم عالما افتراضيا، فيه الكثير من الأوهام والمغالطات، وكل ذلك له آثار سلبية على نفوس الناس.

ونحن نجد أن السنة النبوية لم تهمل هذا الجانب المهم في حياة الناس، فقد راعت السنة النبوية المشاعر الإنسانية حتى في موضوع الرؤيا في المنام، فأباحت السنة النبوية التحدث بالرؤيا الصالحة للمحبين، لأنهم سيستبشرون بها ويبشرون أصحابها بحصول الخير لهم، ونهت السنة النبوية عن التحدث بالرؤيا المكروهة أو تأويلها، خشية أن تتأثر مشاعر الناس سلبا بتلك الرؤيا، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^(٣).

(١) تفسير مقاتل، ج ١، ص ٥٠٢.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٥٩.

(٣) صحيح البخاري، بابُ الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، كتاب التعبير، رقم (٦٩٨٥)، وبابُ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلَا يُخْبِرُ بِهَا وَلَا يَذْكُرْهَا، رقم

نلاحظ في حديث أبي سعيد الخدري هذا، أن السنة النبوية أكدت على قضية عدم التحديث بالرؤيا التي فيها ما يكره، خشية أن يتم تأويلها بالمكروه، فيحدث ذلك قلقلًا لدى صاحب الرؤيا، فأمرت السنة النبوية بالكتمان، وهذا منتهى الرعاية النفسية للناس.

وأكثر من ذلك فإن السنة النبوية أمرت بمقابلة الرؤيا المكروهة بموقف إيجابي، وذلك لإزالة آثارها السلبية المحتملة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيُصْصِقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(١).

فهذا الحديث الأخير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيه إرشادات نفسية وطبية، ترفع من الشعور الإيجابي للإنسان، وذلك لمقابلة الشعور السلبي الذي قد تحدثه الرؤيا المكروهة، فتكون السنة النبوية بهذا العمل الرائد قد سبقت جميع نظريات علم النفس الحديثة في التشخيص وفي طريقة المعالجة، فقد حددت المشاكل النفسية بدقة، ووضعت العلاج المناسب لها، ووجهت بالقيام بعمل إيجابي لمقابلة الآثار السلبية للحالات التي فيها ما يكره.

وتكون السنة النبوية بتلك الأحكام والإرشادات قد ولجت إلى حياة الناس النفسية من أوسع نطاق لها، فجاءت السنة النبوية بالعلاج الناجع لتأمين الناس من الخوف والقلق النفسي، ولتذهب عنهم الروع وتطمئنهم على مستقبلهم.

خلاصة البحث:

من خلال هذا البحث يمكن لي أن أخلص منهج السنة النبوية في تنمية الشعور الإيجابي وذلك في النقاط التالية:

أولاً: توظيف الكلمة الطيبة الحسنة كأداة لتنمية الشعور الإيجابي، فبالكلمة الطيبة يحصل التفاؤل وتتعزيز الثقة بالنفس.

ثانياً: استباق الحالات والمواقف التي قد يحصل عنها بثا للشعور السلبي وتشيط همم الناس أفراداً وجماعات، والتصدي لها وتحذير الناس من أصحابها، كما فعل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قصة صلح الحديبية، عندما حذر من مكرز.

ثالثاً: إهمال المواقف والحالات التي تحدث شعوراً سلبياً وعدم التحديث بها، كحالات الرؤيا المكروهة والمواقف المسيئة والذكرات المؤلمة واشباه ذلك.

رابعاً: مقابلة الحالات التي تُحدث شعوراً سلبياً بحالات ترفع من الشعور الإيجابي، وذلك لمحو أثر الشعور السلبي.

نتائج البحث:

بعد هذه الجولة الممتعة في أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المتعلقة بتنمية الشعور الإيجابي في النفس البشرية، يمكن لي أن أسطر أهم النتائج التي تمخض عنها البحث في النقاط التالية:

أولاً: عملت السنة النبوية على تنمية الشعور الإيجابي وتعزيز الثقة بالنفس، حيث بثت روح التفاؤل وأحيت الأمل في النفوس، وعززت فرص النجاح.

ثانياً: استعملت السنة النبوية الكلمة الطيبة والقول الحسن كأداة لغرس التفاؤل وإحياء الأمل في النفوس، وتنمية الشعور الإيجابي لدى الفرد والمجتمع.

ثالثاً: اعتنت السنة النبوية برعاية الجانب النفسي والمعنوي للناس، وحافظت على الأمن النفسي للفرد والمجتمع.

رابعاً: اهتمت السنة النبوية بالجانب الإنساني للشرائح الاجتماعية الفقيرة والتي يعاني فيها بعض الأفراد من مشاكل نفسية واجتماعية خاصة بهم، واحتضنت أصحاب المعاناة من هذه الشرائح الاجتماعية وعملت على تأهيلهم نفسياً واجتماعياً ليكونوا فاعلين في المجتمع.

خامساً: اتبعت السنة النبوية وسائل متقدمة للعلاج النفسي، فأرشدت إلى عمل إيجابي بعد كل حالة سلبية وذلك لمحو أثرها من خلال مقابلة السلبي بالإيجابي.

التوصيات:

أوصي التربويين أولاً، وأصحاب المسؤوليات ثانياً، وعامة الناس ثالثاً، بالاهتمام بالسنة النبوية، والانطلاق من خلالها في تنمية الشعور الإيجابي لدى الفرد والمجتمع، وبث التفاؤل وزرع الثقة في النفوس، وتوظيف السنة النبوية في تربية النشأ وتأهيلهم نفسياً واجتماعياً.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٩٤هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض.

- ابن حبان، محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرئؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وواجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. - أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المسند، المحقق: شعيب الأرئؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م. - الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١-١٩٩٠.

- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف (المتوفى: ٣٨٨هـ)، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م. - الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الياني (المتوفى: ٢١١هـ)، المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- القاسم بن سلام، أبو عبيد بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين القاهرة.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.